﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ۝١٠﴾ [ص: 9 - 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيتَينِ لِما قبلَهُما:

إثباتُ عجزِ المشركين عن اختيارِ مَن يشاؤونَ لتلقّي وحي الله

بعدَ أن ذكرتِ الآيةُ السّابقةُ أنَّ السَّبب في شقاق الكافرين لرسول الله وإنكارِهم الوحي المُنَزَّلَ عليه دونهم، هو إمهالُ الله تعالى لهم، وتأخيرُ نزول العذاب بهم؛ ناسب في هاتين الآيتين أن يُنْكِر اعتراضَهم على اختيار نبيِّه ﷺ للرِّسالة، بأسلوب توبيخيٍّ تهكُّميٍّ، ينفي امتلاكَهم خزائنَ رحمة الله العزيز الوهّاب، وينفي قدرتَهم على التَّصَرُّف في شيء من ملكوت السَّماوات والأرض وما بينهما، بغرضِ إثبات عجزِهم عن أنْ يختاروا للنُّبوَّة مَنْ يشاؤونَ، ويتركوا مَنْ لا يَرضَون؛ لأنَّ ذلك مِن خصائصِ اللهِ تعالى وحدَه، لا شريكَ له[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خَزَآئِنُ﴾: (خزن) أصلٌ يَدُلُّ عَلى صيانَةِ الشَّيءِ، يُقالُ: خَزَنْتُ الدِّرْهَمَ وغَيْرَهُ خَزْنًا[2]، وهو: حفظُ الشَّيء في الخِزانَة، ثمَّ يعبِّر به عن كلِّ حِفظٍ، كحفظِ السِّرِّ ونحوه، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: 21]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون: 7]؛ إشارةً إلى قدرتِهِ على ما يريد إيجادَهُ، وقوله تعالى: ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ۝٢٢﴾ [الحجر: 22]، أي: حافظين له بالشُّكر[3]، وقوله: ﴿خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ يعني: لَيسوا مُتَصَرِّفينَ في خَزائِنِ الرَّحمَةِ، فيعطون ما شاؤوا، ويمنعون مَنْ شاؤوا ما شاؤوا[4].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 139، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 215، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 136.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خزن).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (خزن).
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 139.

2) ﴿ٱلْوَهَّابِ﴾: الهِبَةُ: أن تجعلَ مُلكك لغيرِكَ بدون عوضٍ، يقال: وهَبْتُهُ هِبَةً ومَوْهِبَةً ومَوْهِبًا، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ [الأنعام: 84]، وقال أيضًا: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص: 30]، ويوصف الله بالواهِبِ والوَهّابِ بمعنى: أنَّه يعطي كلًّا على استحقاقِهِ، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [إبراهيم: 39][1].

2) ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟﴾: (رقي) أصلٌ يَدُلُّ على الصُّعودِ، ومنه قَولُكَ: رَقيتُ في السُّلَّمِ أرقَى رُقيًّا، قالَ تعالى: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ [الإسراء: 93]، وقال: ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾[2]، أي: ليصعدوا سببًا بعد سببٍ[3].

4) ﴿ٱلْأَسْبَٰبِ﴾: السَّبَبُ (بالتَّحريك): القويُّ الطَّويل من الحِبال، يمتدُّ في مهوى البِئرِ إلى الماءِ، ولا يُسَمَّى سببًا حتَّى يُصعَد بهِ[4]، فأصلُهُ الحَبلُ، ثمَّ قيل لكلِّ شيءٍ وصلتَ به إلى موضع أو حاجة تريدُها: سببٌ، تقول: فلانٌ سببي إليك، أي: وصلني، وما بيني وبينك سببٌ، أي: وصلة ورحم، قال تعالى: ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ يعني: أبوابَ السَّماء، ويجوز أن يكونَ في الحبالِ وغيرها ممّا يُتَوَصَّلُ به إلى الموضعِ العالي[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عَجْزُ المشركين عن القيام بأيِّ شيءٍ من أفعال الله برهانٌ على عجزِهِم عن اختيار مَنْ يُحبّون للرِّسالة

تنكرُ الآيةُ الأولى على الكُفّار اعتراضَهم على اصطفاءِ الله تعالى نبيَّه محمَّدًا للرِّسالة دونهم، نافيةً أنْ يملكوا خزائنَ رحمةِ الله، حتَّى يُعطوا منها مَنْ يشاؤون، ويمنعوها عمَّن يشاؤون، ويتخيَّروا للنُّبوَّة صناديدهم، ويترفَّعوا بها عن رسولِ الله، مؤكِّدةً أنَّ المالكَ لذلك

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، مفردات القرآن: (وهب).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، مفردات القرآن: (رقى).
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 139.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي: (سبب).
(5) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 252.

كلِّهِ هو اللّهُ العزيز الوهّاب، وتأتي الآيةُ الثّانيةُ لتأكيد ما أفادته الآيةُ الأولى مِنْ عدم ملكيَّتهم شيئًا مِنْ خزائنِ الله، ومُضيفةً إليه أنَّهم - أيضًا - لا يملكون أيَّ شيءٍ مِن العوالم العلويَّة أو السُّفليَّة، وإنَّما هم خلقٌ صغير مِن خلقِ الله العظيم، ومِن ثمَّ تطالبهم - بقصد التَّعجيز - أن يستخدموا كُلَّ ما لديهم مِن أسباب تُمَكِّنُهم مِنَ التَّصرُّف في ملكوت السَّماء والأرض إنْ كانوا يستطيعون[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى ﴿أَمْ﴾ ودلالتها في أوَّل الآية:

﴿أَمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ﴾ مُنْقَطِعَةٌ، وهيَ أيضًا لِلإضرابِ الانتقاليِّ، وتُشْعِرُ باستفهام بَعدَها، غرضُه الإنكارُ والتَّوبيخُ والنَّفي، إنكارًا لِقَولِهم: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾[2]، والمعنى: إنَّ هؤلاءِ الكُفّار لَيسوا مُتَصَرِّفينَ في خَزائنِ الرَّحْمَةِ، فيُعطون مَن شاؤوا، ويمنعون مَنْ شاؤوا ما شاؤوا، ويَصطَفونَ للرِّسالةِ مَنْ أرادوا[3].

إبطالُ قدرة المشركين على التَّصرُّف في أيٍّ مِن خزائن رحمة الله

غرضُ تقديم الظَّرف ﴿عِندَهُمْ﴾:

قَدَّمَ النَّظْمُ الظَّرفَ على المبتدَأ، فقال: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾، ولم يقل: (أم خزائن رحمة ربِّك عندهم)؛ للاهتمام بنفي العنديَّة؛ إذ هيَ مَناطُ الإنكارِ والتَّوبيخ، كَقَولِه: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: 32]، والمعنى: لَيستْ خَزائنُ فَضْلِ اللّهِ تعالى عِندَهُم، فيتصدَّونَ لحرمانِ مَنْ يَشاؤونَ حِرْمانَهُ مِنْ مَواهِبِ الخَيرِ، فإنَّ المَواهبَ مِنَ اللّهِ يُصيبُ بها مَن يَشاءُ، فَهوَ يَختارُ لِلنُّبوَّةِ مَن يَصطَفيهِ، ولَيسَ الاختيارُ لَهُم، فيجعلون مَنْ لَمْ يُقَدِّموهُ عَليهم في دينِهم غَيْرَ أهلٍ لأنْ يَختارَهُ اللّهُ[4].

الاهتمامُ بنفي العنديَّة؛ لأنَّها مناطُ الإنكار والتَّوبيخ

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 136، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 139.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 216.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 139.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 215.

الغرضُ مِن إضافةِ الظَّرف إلى ضميرِ الغائب:

التَّعبيرُ عن المشركين بضميرِ الغائب فيه استهانةٌ بهم وتحقيرٌ لشأنِهم

جيءَ بالظَّرف مضافًا إلى ضمير الغائب العائد إلى المشركينَ في: ﴿عِندَهُمْ﴾، لنفي اختصاص المشركين بامتلاكِ أيِّ شيءٍ من خزائن رحمةِ اللّه سبحانه، ونفي قدرتِهم على التَّصرُّف في أيِّ شيءٍ منها بالإعطاء أو المنع، ويدخل في ذلك أمرُ الرِّسالة دخولًا أوَّليًّا برهانيًّا، وأوثِرَ التَّعبيرُ عنهم بضمير الغائب دونَ الاسم الظّاهر أو ضمير الخطابِ؛ استهانةً بهم وتحقيرًا لشأنِهم.

بلاغةُ الاستعارةِ في الآية:

رحمةُ اللهِ كشيءٍ نفيسٍ مخزونٍ تطمح النُّفوسُ لنوالِهِ، وتهفو القلوبُ لتحصيلِهِ

في قوله تعالى: ﴿خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ استعارةٌ مكنيَّةٌ، شُبِّهَتْ فيها رَحْمَةُ اللّهِ بالشَّيءِ النَّفيسِ المَخزونِ، الَّذي تَطمَحُ إليه النُّفوسُ، في أنَّهُ لا يُعْطَى إلّا بِمَشيئَةِ خازِنِهِ، ثم حُذِفَ المشبَّهُ به، ورُمِزَ إليه بشيء مِن لوازمه، وهو الخزائنُ، عَلى سَبيلِ الاستِعارَةِ المَكنيَّةِ، الَّتي تبيِّن قيمةَ الرَّحمة ومكانتها، وأنَّ اللّه تعالى لا يعطيها إلّا لِمَنْ يستحقُّ مِنْ عبادِهِ، فلا مجال فيها للأهواء، ولا أثر فيها لعمل النُّفوس، وإثباتُ الخَزائِنِ: تَخْييلٌ مِثْلَ إثباتِ الأظْفارِ لِلمَنِيَّةِ[1]، والتَّعبيرُ بها جمعًا للإشارةِ إلى أنَّها غيرُ متناهيةٍ[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالرَّحمة مضافةً، وسرُّ إيثار وصف الرُّبوبيَّة:

النُّبوَّةُ عطيَّةٌ مِنَ الله يتفضَّلُ بها على مَن يَشاء مِنْ عبادِهِ المُصْطَفينَ

في قولِهِ تعالى: ﴿رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ أُضيفت الرَّحمةُ إلى اسم الجلالةِ؛ تفخيمًا لها، وتعظيمًا لشأنها، وللدَّلالة على اختصاص اللّه تعالى بها، فليس لأحد أيُّ نوعٍ مِنَ التَّصرُّف فيها، "فالإضافَةُ عَلى مَعنَى لام الاختِصاص، والعُدولُ عَنِ اسمِ الجَلالَةِ إلى وصف الرُّبوبيَّة؛ لأنَّ لَهُ مَزيدَ مُناسَبَةٍ لِلغَرَضِ الَّذي ورد الكَلامُ فيه؛ إيماءً إلى أنَّ تَشْريفَ اللّه تعالى رسولَهُ بِالنُّبوَّةِ مِنْ آثارِ صِفَةِ رُبوبيَّتِهِ لَهُ؛ لأنَّ وصْفَ الرَّبِّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 216.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 370.

مُؤْذِنٌ بالعِنايَةِ والإبلاغِ إلى الكَمالِ"[1]، ما يدلُّ على أنَّ النُّبوَّةَ عطيَّةٌ مِنَ اللهِ ﷻ يتفضَّلُ بها على مَن يَشاء مِنْ عبادِهِ المُصْطَفينَ[2].

الغرضُ مِن إضافةِ (رَبِّ) إلى ضمير الخطاب:

في إضافة اسم الرَّبِّ ﷻ إلى ضمير الخطاب العائد إلى النَّبيِّ ﷺ في قوله: ﴿رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ تشريفٌ للرَّسول وتكريمٌ وتأكيدٌ؛ لأنَّ اختيارَهُ للنُّبوَّة مؤذنٌ بعناية اللهِ به، وإبلاغِه درجةَ الكمالِ، وإشارةٌ إلى جدارتِه بها واستحقاقه لها.

الـرَّسـولُ ﷺ جـديـرٌ بـالـنُّـبـوَّة مُستحِقٌّ لها

الغرضُ مِن وصفِ اسم الجلالة بـ ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾:

وصفُ البيانُ اسمَ الجلالة (رَبِّ) بـ ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الدّال على: أنَّ اللهَ تعالى لايغلبه شيء؛ لإبْطالِ تَدَخُّلِهِمْ في تَصَرُّفاتِهِ، كما وُصِفَ بـ ﴿ٱلْوَهَّابِ﴾ الدالِّ على كثرةِ مواهبِه وعطاياه؛ لإبطالِ جَعْلِهِمُ الحِرمانَ مِنَ الخَيْرِ تابعًا لرَغباتِهِم دونَ مَوادَّةِ اللهِ تَعالى[3]، وتَقريرُ ذلك أنَّ مَنْصِبَ النُّبوَّةِ مَنْصِبٌ عَظيمٌ، ودَرَجَةٌ عاليَةٌ، والقادِرُ عَلى هِبَتِها يَجِبُ أن يَكونَ (عَزيزًا)، أي: كامِلَ القُدرَةِ، و(وَهّابًا)، أي: عَظيمَ الجودِ، وذَلِكَ هو اللهُ سبحانه، وإذا كانَ اللهُ تَعالَى كامِلَ القُدرَةِ وكامِلَ الجودِ؛ لَمْ يَتَوَقَّفْ كَوْنُهُ واهبًا لِهَذِهِ النِّعْمَةِ عَلَى كَوْنِ المَوهوبِ مِنهُ غَنيًّا أو فَقيرًا، ولَم يَختَلِفْ ذَلِكَ أيضًا بِسَبَبِ أنَّ أعداءَهُ يُحِبّونَهُ، أو يَكْرَهونَهُ[4].

لا بدَّ فيمن يَهَبُ النُّبوَّةَ أنْ يكون عزيزًا وهّابًا

معنى ﴿أَمْ﴾ ودلالتها في قوله: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ﴾:

﴿أَمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ﴾ حرفُ إضرابٍ ينتقل به النَّظمُ إلَى الرَّدِّ الَّذي يَأْتي عَلى جَميعِ مَزاعِمِ الكافرين، ويَشْمَلُ بِإجْمالِهِ جَميعَ النُّقوضِ التَّفْصيليَّةِ لِمَزاعِمِهِمْ بِكَلِمَةٍ جامِعَةٍ

رُدود القرآن تأتي على جميع مزاعم الكافرين وتُرْسِخ ألسِنَتَهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 216.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 216.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 216.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 370.

كالحَوْصَلَةِ، فَيُشْبِهُ التَّذْييلَ لِما يَتَضَمَّنُهُ مِنْ عُمومِ المُلْكِ، وعُمومِ الأماكِنِ المُقْتَضي عُمومَ العِلمِ، وعُمومَ التَّصَرُّفِ، ينْعَى عَلَيهِم قَولُهُم في المُغَيَّباتِ بلا عِلْمٍ، وتَحَكُّمُهُم في مَراتِبِ المَوجوداتِ بِدونِ قُدرَةٍ ولا غِنًى[1].

التَّهكُّمُ والإنكار لقُدرة الكافرين على التَّصرُّف في شيء مِن ملكوت السَّماء والأرض

و﴿أَمْ﴾ تُشعِر أيضًا باستفهامٍ إنكاريٍّ تهكُّميٍّ، ينفي أن يكونَ للمشركين شيءٌ من القدرة على التَّصرُّف في ملكوت السَّماء والأرض، والمعنى: هل لهم شيءٌ من ملك السَّماء والأرض؟ وإن كان لهم شيء؛ فليصعدوا في الطُّرق التي توصِّلهم إلى ما نملكُهُ حتَّى يستولوا عليه، ويدبِّروا أمره، ويُنزلوا الوحي على مَن يختارونه للنُّبوَّة مِن أشرافهم[2].

الغرضُ مِن تقديم الجار والمجرور:

الكافرون غيرُ مختصّين بامتلاك شيءٍ في السَّموات والأرض

قدَّم النَّظمُ الجار والمجرور: ﴿لَهُم﴾ على المبتدأ، فقال: ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ولم يقل: (أمْ ملكُ السَّماوات والأرض وما بينهما لهم)؛ لأنَّ الاهتمامَ منصبٌّ على نفي اختصاصهم بامتلاكِ شيءٍ في السَّماوات والأرض، ونفي قدرتهم على التَّصرُّف فيه؛ إذ هو مناطُ التَّهكُّم والإنكار، والمعنى: إنْ كانَ لَهُم شَيءٌ مِن ذَلِكَ؛ فَليَصعَدوا في الأسبابِ، وليمنحوا النُّبوَّة مَنْ يشاؤون[3].

الغرضُ مِن إضافة ﴿مُّلْكُ﴾ إلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

في قوله تعالى: ﴿مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أضيف الـ ﴿مُّلْكُ﴾ إلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ ليكونَ النَّفيُ والتَّهكُّم متوجِّهًا إلى اختصاص الكافرين بالتَّصرُّف فيهما، والقدرة على تصريفِ أمورِهما، فالإضافةُ على معنى لام الاختصاص.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 216.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 136، والزمخشري، الكشاف: 4/ 74.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 140.

بلاغةُ الطِّباق بين: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

مَنْ يملكُ القدرةَ على تصريف السَّماوات والأرض يملك القدرة على اختيارِ الرَّسول

بين ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ طباقٌ يدلُّ على قدرةِ مَنْ يملكهُما، ويستطيعُ تصريفَ أمورِهما على معرفةِ حَقائِق الأشياءِ، والتَّكلُّم عَن عِلمٍ في كُنْهِ الإلَهِ وصِفاتِهِ، وفي إمكانِ البَعْثِ وعَدَمِهِ، وفي صِدق الرَّسول أو ضِدِّهِ، وأن يفتحَ خَزائِنَ الرَّحمَةِ، فَيُفيضَ مِنها عَلى مَنْ يُعْجِبُهُ، ويَحْرِم مَنْ لا يَرْمُقُهُ بِعَيْنِ استِحسانٍ[1].

سرُّ التَّرتيبِ بين ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾:

ترتيبٌ تنازليٌّ يُفضي إلى القدرة على هِبَةِ النُّبوَّة ومنعِها

بدأ النَّظمُ بـ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جريًا على الأصل في تقديم الجمعِ على المفردِ، وتقديمِ الأكثرِ على الأقلِّ، ولأنَّ مَنْ مَلَك السَّماوات، وقَدَرَ على تصريفِ أمورِها، كان قادرًا على مُلْكِ الأرض وتصريف أمورها، ومَنْ مَلَك السَّماوات والأرض، وقدر على تصريف أمورهما، كان قادرًا على امتلاك ما بينهما وتصريف أموره من باب أولى، ومَنْ مَلَك السَّماوات والأرض وما بينهما كان قادرًا على التحكُّم في خزائن رحمة الله، وقادرًا على هِبَةِ النُّبوَّة لمَنْ يشاء ومَنْعِها ممَّنْ يَشاءُ.

الغرضُ من التَّعبير باسم الموصول العام:

اختيارُ ناسٍ للنُّبوَّة وحرمان آخرين من اختصاص ربِّ العالمين

عبَّر النَّظمُ في قوله: ﴿وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ﴾ باسم الموصول (ما)؛ لِما يفيده بمعناه ومبناه المنتهي بألف المدِّ مِنَ الدَّلالة على عموم المُلك لكلِّ الأشياء الموجودة بين السَّماء والأرض، ويدخل فيها اختيارُ ناسٍ للنُّبوَّة وحرمانُ آخرين دخولًا أوَّليًّا برهانيًّا.

معنى الفاءِ ودلالتها في جملة: ﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ﴾:

الفاءُ في جملة: ﴿فَلۡيَرۡتَقُواْ﴾ جوابُ لشرطٍ محذوفٍ، تقديرُه: إن كان عندهم خزائن رحمتنا، ولهم ملكُ السَّموات والأرض وما بينهما؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 217، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 139.

فليصعدوا في السَّماء[1]، ما يعني: أنَّها تفيد ترتُّب الأمر بالارتقاء في الأسباب على ملك السَّماوات والأرض... وتفيد كذلك مطالبة الكافرين بالإسراع في الارتقاء؛ لأجل الإتيان بالخبرِ الصَّحيح في أمر النُّبوَّة والوحي من السَّماء، طالما أنَّ محمَّدًا يختلِقُهُما، ويكذِبُ في ادِّعائه لهما، ولا يخفى ما فيه مِنَ التَّعجيز والتَّحدّي الدّال على صدق الرَّسول، وعناد الكفار وكِبرهم في شِقاقهم له، ورفْضِ الإيمانِ به.

ترتُّبُ الارتقاءِ في الأسباب على مُلك السَّماوات والأرض

الغرضُ مِنَ التَّعبير بالمضارع المقترن بلام الأمر:

جاءَ الأمرُ بالارتقاء مضارعًا مقترنًا بلام الأمرِ في قوله: ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟﴾؛ لِما تُفيده صيغةُ الأمر هذه من المبالغةِ في الحثِّ على ضرورة الارتقاء، والأمر به بأسلوبٍ آكدَ وأقوى مِنْ فعل الأمر[2]؛ زيادةً في تعجيز الكافرين، وإظهارًا لافترائهم فيما يدَّعونه على رسول الله، والمعنى: "فليتكلَّفوا الرُّقيَّ؛ إن كان لهم ذلك"[3].

الأمـرُ بالمضارع المقترنِ باللّام آكدُ في المعنى، وأقوى في الإلزام من فعلِ الأمر

دلالةُ التَّعبير بحرف الجرِّ المفيد للظَّرفيَّة:

عُدّيَ فعل الارتقاء إلى المفعول بحرف الجرِّ المُفيد للظرفيَّة في قوله: ﴿فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾؛ للدَّلالة على مطالبة الكافرين بأن يَجِدّوا في الأخذ بالأسباب، وينغمسوا فيها انغماسَ الظَّرف في المظروف[4]، وألّا يُقَصِّروا في ذلك حتَّى لا يَبقى لهم عذرٌ إن عجزوا عن الارتقاء، ولم يستطيعوا التَّوصُّل إلى شيءٍ من أخبار السَّماء.

المخاطَبون مطالبون بعدم التَّقصير في الأخذ بالأسباب للوصول لخبر السَّماء

دلالةُ التَّعريف في ﴿ٱلْأَسْبَٰبِ﴾:

(ال) في ﴿ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ لتعريف العهدِ، والمرادُ: أن يأخذوا بكلِّ الأسباب المعروفة لهم، المعهودة عندهم، والَّتي اعتادوا الأخذَ بها في

المخاطَبون مطالبون بأن يأخذوا بكلِّ الأسبابِ المعروفةِ المعهودة

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 136.
(2) توفيق، صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم، ص: 18.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 338.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 217.

كلِّ أمرٍ من أمور حياتهم؛ إذ مِن "المعروفِ أنَّ لِكُلِّ مَحَلٍّ مُرْتَفِعٍ أسبابًا يُصْعَدُ بِها إلَيه"[1]، والقصدُ مِن ذلك كلِّهِ إثباتُ عجزهم، والتَّهكُّم بهم وبأقوالهم، وبيان أنَّهم أدعياءُ كذّابون فيما يزعمون، ويهرفونَ بما لا يعرفونَ[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 217.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 136.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»